المبدأ 5

لا تعمل شيئاً يستطيع الآخرون عمله لك.

المغزى:

يتحرك عالم النافذين في معظم الوقت وفق منطق الغاب، فإلى جانب الذين يصطادون ليأكلوا هناك من يعتاش على صيد غيره، أي في اللحظة الذي تتعب فيها- أنت مثلاً- للقيام بجهد مثمر ثمة نسور جوارح تحوم حولك، تترقب انتهاء عملك محاولةً منها أن تجد طريقة لتنقضّ وتكسب من تطفلها عليك، وليس المفيد عندها التذمّر والشعور بالمرارة، بقدر ما يجب أن تجد طريقة لتحمي بها نفسك منهم، وأفضل وسيلة لذلك أن تشاركهم لعبة الجهد والبحث، تدفعهم لعمل ما تودّه ويودّونه كي تلهيهم عنك بأهداف تصب في مصلحتهم بينما هي في الحقيقة لمصلحتك، ادفعهم لاصطياد طرائد ورسّخ قاعدة سلطتك بأن تصبح أنت من النسور المحلّقة.

في مملكة الأقوياء يتعلم المرء كيف يستفيد من عمل الآخرين لتعزيز تقدم في قضيته، فالزمن نفيس والحياة قصيرة، فإذا حاولت أن تقوم وحدك بكل شيء فسترهق نفسك حتى التمزق. لهذا ينبغي المحافظة على رصيدك القوي من النفوذ النفسي والاجتماعي بأن تجعل الآخر يأتي إليك، أن تستدرجه إلى منطقتك أو إلى المنطقة التي تختارها، ومجرد مجيئه يُتعب نفسه، تتبدد طاقته في رحلته إليك، وأكثر من ذلك سوف يبدو أكثر ارتباكاً واستياءً لأن وجوده على أرض لا تخصّه سيجعله عصبياً، متوتراً، وقد يرتكب الأخطاء ويستاء من حاله. وفي ظل هذه الظروف تجد نفسك في موقع المتمكن من تسجيل نقاط فوز في معركة التفاوض، لقد جعلت خصمك «المُستدرج» يستجيب حسب شروطك.

المثال

تربى عدنان في كنف جدته وجده بعدما توفيت والدته وهو صغير، وتركه والده وهاجر بعيداً، وعندما شبّ كان يسأل دائماً عن والده فيُقال له بأنه في بلاد الاغتراب، مشغول بأعماله وعائلته الجديدة. فيكبت من نفسه قسراً الحرمان العاطفي الذي يعيشه رغم أن الوالد يزوره كل عام ويعطيه المال الذي يريد ثم يعود إلى عالمه الآخر، فكر عدنان مرات ومرات بأن يقطع اتصالاته بوالده ويرفض استقباله، لربما يراجع ضميره تجاهه..

خاصة وأنه (عدنان) غير مقتنع «بجدوى الظروف» التي تمنع والده من أخذه إليه أو العودة إلى الوطن والسكن بقربه.. لكنه سرعان ما يتراجع عن تفكيره هذا خوفاً من أن يهجره الأب نهائياً.. وهكذا يعيش عدنان ازدواجية في ذاته: فهو يكره نفسه لأنه يكره والده، ولكن يجاريه، ولا يرغب به كأب.. لأن الوالد نفسه لا يرغب به كابن..

نلاحظ مرارة الواقع الذي عاشه ويعيشه عدنان، فقد نشأ بحكم اليتيم (توفيت والدته/وهجره والده) ومع أن هذه المرارة يجب أن تخف حدتها مع قدوم الأب يبدو أنها تستعر كرهاً وحقداً من قبل الابن على والده.. في الواقع لا نبرر فعل الوالد المُتَّل في احتضانه لابنه فهو يسأل عن ابنه وهو مبتعد ليس لأنه قاس أو لأنه لا يحب ابنه بل لأن علته اللامبالاة.. هل فكر عدنان بأن وجود الأب إلى جانبه قد لا يحدث فرقاً بالنسبة له مثلاً؟ خاصة وأنه يجاهر بكرهه له؟ هل فكر بأن الوالد يعطيه حقه في الرعاية بالمال وبعض الوقت حين يزوره كما يعطي عائلته الأخرى؟ على ما تقدم أعود وأكرر ما ذكرته آنفاً: في مملكة الأقوياء يتعلم المرء كيف يستفيد من عمل الآخرين لتعزيز تقدم في قضيته، فالزمن نفيس والحياة قصيرة، فإذا حاولت أن تقوم وحدك بكل شيء فسترهق نفسك حتى التمزق. لهذا ينبغي المحافظة على رصيدك القوي من النفوذ النفسي والاجتماعي بأن تجعل الآخر يأتي إليك.

الملخص:

من الحكمة في عالم السلطة أن تختار أساليب عملك اعتماداً على مقتضيات الموقف، فإذا كان الآخرون أقوى منك دعهم حتى تنضب قواهم ويُثقل كاهلهم الانتظار ليأتوا بعدها مكرهين، مرهقين.. فالثمار غير المستوفية نضجاً من الصعب أن تسقط بضربة واحدة، ولكن عندما تصبح يانعة تسقط مع نسمة ريح.

المرادف:

- الحياة بدون معرفة ليست حياة، وإنها لنصيحة ممتازة أن تحصل على المعرفة من كل الناس، وهكذا إن عرفت كيف تكسب من عرق جبين الآخرين نجاحاً ستصبح عرّافاً.

(بلثازار غراسيان، 1601ـ1656)

- إن المحاربين الجيّدين يجعلون الآخرين يأتون إليهم، ولا يذهبون إلى الآخرين، إذ عندما تقنع خصومك بالمجيء إليك تكون قوتهم فارغة، وما دمت لا تذهب إليهم فإن قوتك تكون مليئة دائماً، إن مهاجمة الفراغ بالامتلاء تشبه رمي الحجارة على البيض.

(محلل استراتيجي صيني)

- ساعد الناس على أن يفعلوا الأشياء بأنفسهم وأن يكتشفوا إمكانياتهم.. فلا تحل محلهم أبداً.

(غاندي)

- إذا كنت أنا قد رأيت أكثر مما رأى معظم الرجال فذلك لأنني وقفت على أكتاف عمالقة.

(المخترع إسحاق نيوتن)

- النجاح هو أن تعمل في ما تبرع به وتترك الآخرين ينجزون الباقي.

(غولدستاين ترويزم)

- ثمة أعمال لا تستحق حتى أن تلتفت إليها، ويستحسن في هذه الحالة أن تتركها للأشخاص الذين يملكون وقتاً ليضيعوه.

(إيرني زيلنسكي)

■ ■ ■